٣٥

شيخ الإسلام

وظائفه ورواتبه

أشهد أن الإحصاء عمل شاقّ لأنه ليس (كما كنت أظن) محض أرقام ترصد، وأشياء تعدد، بل قد وجدته أمراً يحتاج إلى خفة الحركة ولطف المدخل، كما يتطلب حبّ البحث ورغبة الاستطلاع، والصبر على الاستقصاء والاستقراء

ولقد عانيت كل ذلك حين قام بنفسي منذ شهر أن أحيط علماً بوظائف شيوخ الإسلام فى مصر ورواتبهم. فاقتضى ذلك منى أن أدخل وزارة الأوقاف فأخرج منها إلى المالية ثم أستريح ساعة عند الرمالىّ ثم استأنف السير إلى مخبز الشباسى. وأن أذهب فى يوم إلى مسجد الحنفى ثم إلى السيدة زينب. وأن أقصد إلى القرافات من باب الوزير. إلى المجاورين، إلى الإمام، إلى زينهم. لأتعرف المدافن التى وقف أصحابها شيئاً على شيخ الإسلام واشترطوا شروطاً من مثل قراءة الفاتحة أو سورة يس أو إطعام الفقراء فى المواسم والأعياد. كذلك اقتضى تطوافى أن أمرّ بهذه الوزارة الصغيرة التى فى شارع الشيخ عبدالله بعابدين وبها كل ما يكون بالوزارات من رؤساء ومرءوسين وصيارفة ومحصلين وسعاة. بل إن شئت فقل إنها حكومة أخرى فى داخل الحكومة المصرية لأن الحكومة إذا كانت

تدير أربعَ عشرةَ مديرية فإنها تدير أربعةَ عشرَ وقفاً وُكِل إلى شيخ الإسلام أمرُ نظارتها . وإلى القارىء بيان ما وصل إليه جهدنا الضعيف بمعونة الأصحاب ومساعدة ناشرى الحقائق

٤٠٠٠ أربعة آلاف جنيه مصرى من وزارة الأوقاف العمومية

٢٠٠٠ ألفا جنيه مصرى من وزارة المالية المصرية

٣٠٠ ثلثمائة جنيه مصرى فى شهر رمضان لنفقة منزل شيخ الإسلام وإطعام من يؤمه من فقراء (من وقف قاسم باشا)

٣٠ ثلاثون جنيهاً مصرياً فى كل رمضان لقراءة درس حديث بالسيدة زينب

٦٠٠ ستمائة جنيه سنوياً نظير إدارة قسم الوعظ والإرشاد من وقف المنشاوى

٦٠٠ ستمائة مليم ! ! شهرياً من مقرأة الحنفى

١٩٥ مائة وخمسة وتسعون مليما شهرياً لقراءة الفاتحة بالسيدة زينب

٥٩ أقة خبز يومياً من الأوقاف الخيرية وحدها

٢٠ جنيهاً شهرياً لرياسته السادة المالكية

٥ر١٢ جنيه بدل ركوب شهرياً لحضور مجلس الأوقاف الأعلى

١٨٤١ فداناً موقوفة (عشرة فى المائة من إيرادها نظير إدارتها)

١٢٠٠ جنيه سنوياً أجرة عقار موقوف (عشرة فى المائة نظير إدارته)

٢٠ جنيهاً بدل كسوة التشريف كل سنة

٣٦ جنيهاً مرتب هيئة كبار العلماء

بعد كل هذا نعترف بالعجز عن الاستقصاء لأننا لم نستطع الوصول إلى إيراد مشايخ الإسلام من الأوقاف التى يديرونها لأن ذلك السر يصعب علينا الوصول إليه . على أن بعض من تولّوا وكالة وزارة الأوقاف فى يوم من الأيام نفِسوا [1] على شيخ الإسلام هذا الدخل فاستطاعوا بوسائط لا نتمكن منها أن يعرفوا دخله من هذه الأوقاف الاربعة عشر وبضمه إلى راتبه من الحكومة والأوقاف العمومية صار دخله فى الشهر (٩٦٥) جنيهاً شهرياً أى أحد عشر ألفاً ونصف ألف فى العام

فلا جزى الله هؤلاء الواقفين خيراً لأنهم أرادوا أن يشغلوا شيوخ الإسلام عن الدنيا فشغلوهم بها ، وأرادوا أن يكفُوهم مؤونة السعى للرزق فألهَوْهم بتدبير هذه الثروة الطائلة ، وأحبوا أن يحرّروهم من أسر الفقر فجعلوهم يستأسرون فى سبيل هذا الإيراد الضخم ، ورغبوا أن يجعلوهم مظهر البذل فى سبيل الله والتصدق على أبناء السبيل فحمّلوهم وِزْر البخل والحرص، لأن كثرة المال قد تكون مُغْرية بالتقتير . . وقصارى القول أنهم أرادوا بأموالهم خيراً فأبى الله لها إلا الشر

وبعد فإنى مشتاق أن أرى تلك القصعة التى يقال إن قاسماً باشا وقف عشرة جنيهات على صنعها وفرض أنها تتجدد كل عام . فأين هى ؟ أم أين قُراضتها ؟ ؟ . كما أنى أتمنى أن أرى المساواة (أو الديموقراطية كما يقولون) تبلغ بشيخ الإسلام أن يجلس فى مقرأة الحنفى إلى جانب هؤلاء الفقراء المعوزين من حملة كتاب الله

---

(١) نفس عليه الشيء استكثره ولم يعده أهلا له (باب فرح)

٣٦

وحيد الأيوبى

وحيد بك اسم لم يكن من الضرورى أن نعرفه ، ولا أن نشغل أنفسنا بوعيه وألسنتنا بالتحدُّث عنه ، ولكن شاءت الأقدار أن يكون هذا الاسم موضوع الفكاهة ومدار النكتة ، وأن نذكره حين نذكر التعويل على غير طائل ، والإشاحة بالسيف على غير منازل ، ومكابرة الأواخر ، والدعوى على الأوائل .

وشاء الإلحاح من وحيد بك والحياء من رجال صحافتنا إلا أن يشغلانا باسم وحيد وبما يَهْرِف به وحيد ، وما يتنادر به وحيد ، وما يضحكنا من وحيد ، وما يزعجنا به وحيد ، من إنكار وجحود ، وما نراه مما يدّعيه حرصاً على اللغة لم نعهد مثله من ناشرى لوائها مثل الخليل وابن دُرَيْد والأصْمَعِيّ يحدثوننا عن ظَرَفه ، وحلاوة سُخفه ، ولطفه فى عنفه ، وقوته فى ضعفه. ولكننا لا نزال نَعْجب كيف تلتقى تلك مع هذا العناد واللَّجاج ؟ ولكن لا عظيم على قدرة الله . فاللفظ قد يجمع الضدين معناه ، مع وَحدة مبناه . فليكن وحيد نَبَطيّاً ولغوياً ، وليكن جُحا زمانه ، وأَصْمَعِيّ أوانه . ولينظر فى كتب اللغة من غير أن يعرف الفصل والباب . أو يتذوّق من النحو والصرف القشر أو اللُّباب .

وما دامت صحفنا هى التى تنزل الناس منازلهم وتوزّع عليهم ألقابهم

فليكن وحيد بك السيد اللغوىّ الحجة الثَّبْت قريع العلماء ورُحْلة الأدباء وحَبْر دولته ونحرير أمته

ولو عرف وحيد معنى كلمة لغوىّ ما رضى لنفسه أن يدعى هذا الوصف قبل أن يستتم آلته ، ويعدّ له عدته . ولا رضى أن يفهمه فهم العوامّ ، الذين يَصِفون به كل مُتَفَيْهِق ثرثار ، ومُدّعٍ هتّار

والحق أن اللغوىّ هو من عرف فقه الاشتقاق ومعانى الصّيغ وقياس الجموع وقواعد النسب وطوارئ الإعلال والإبدال . ودرس علوم البلاغة فعرف طرق التجوز وعلاقاته . لأن واضعى كتب اللغة رحمهم الله قد فرضوا ذلك فى كل مطّلع على كتبهم . فهم قد يهملون القياس ثقة بمعرفة الباحث له . ويكتفون بالأصل ليُحمل عليه الفرع . لذلك ترى الجهّال من الباحثين فى تلك الكتب ينكرون أحيانا أفصح الألفاظ وينْفُون أعرقها نسبا وأكثرها عُروبيّة لأنهم لم يجدوها فى الكتب التى بأيديهم . وقد نعرف رجلا من هؤلاء جاءنا يوما ينكر المضارع من حول (باب فرح) لأنه لم يره فى القاموس المحيط . ونظائر ذلك كثيرة تصدر عن كل من تصدّى للغة والكلام فيها بعد أن اقتنى القاموس وشرحه ولسان ابن منظور ومخصص ابن سِيده . ولو كان اللغوىّ من استطاع أن يقرأ كتب اللغة ويصبر على استيعاب صفحاتها لوجب أن يكون تلميذ الابتدائية لغويّا ثقة إذا اتفق له مثل الغرام الذى كَبّ وحيدا عليها لليدين وللفم . فهل استوفى سعادته هذه الشروط (الأشراط والشرائط والشُّرط والمشاريط على رأيه) حتى يتصدّر فينا للفتْوى ويجلس بيننا للحكم .

سبحان مقلب الأحوال ومصرّفها فقد بدأ وحيد يكتب منذ سنتين أو ثلاث فكنا نرى فى كلامه المثل الحىّ للنبطيّة التى حدثونا عن أهلها أنهم قوم ينزلون بين العراقين (العربىّ والفارسىّ) فاضطربت فى آذانهم الإبانة والرّطانة وكانت لهم لغة لافارسية ولاعربية ، ولا شرقيةولاغربية، وفات المتقدمين أن يضربوا لنا أمثلةمنها . فكانت إرادة الله أن نعثر فى كلام وحيد بك على تلك الحلْقة المفقودة فى تاريخ الأدب . وأن نرى كيف تخلّقت الأعجمية فى العربية . وكيف دبّ الفساد ، فى أنفس التّلاد .

وحيد هـذا هو الذى يستعمل الأساليب كما فرضها النحاة قبل أن يصقلها النطق ويُشَبّه له أنه يكون أبرّ باللغة حين يستغنى بالأصل عن الفرع ، ويعدل بتعداد الآحاد عن ذكر الجمع . ولولا بقيةٌ من حياء لجعل (قَوَل) فى موضع قال و(استقْوَم) بدل استقام .

وحيد هو الذى يقول (السلطة الأنجليزية الكائنة فى السودان) كما تقول العوام منزلى الكائن بشق الثعبان . ويقول (إن حكومة السلطان حسين أخشت على الحجيج ثمن كل طعام كان له وجود) ويقول (هل إن رئيس وزارة مصر من عمال الإنجليز)فيؤكد بأنّ فى موضع الشك بالاستفهام. ويقول (هؤلاء المكتشفون والمخترعون أولئك هم الذين يمتازون بأعمالهم) ويقول (طالما والله قدسترنا معايب لمن كان القدر فيها أن يكون هو رأسا) . وهكذا من الكلام الذى هو برُقَى الحيات والعقارب أشبه منه بكلام يخاطب به قراء الصحف . ولولا زهادتنا فى هذا الهُرَاء ، واعتقادنا أن كلة واحدة منه كافية لهدم جبل عال وطَوْد أشمّ . لاشَنّ بال ومتصالح أبكم .

ولولا أننا لانريد القراء بكثرة ما ننقل تعريفا بكاتب أراد أن يكون جُحا اللغة وبُهلول[1] الصحف . لولا كل ذلك لملأنا صفحات ، من هذه السخافات.

وحيد هذا هو الذى ينقلب بعد ذلك لغويا متشددا لاتعجبه لغة العلماء ولا أساليب الأدباء ويُعنى بتعقّب الحكومة فى كلمات جنينة الحيوانات وحديقة الأسماك وكوبرى قصر النيل والهويس ، والبوليس . ويظن أنه قد أبلى فى خدمة اللغة وأن المعلمين فى المدارس على كثرتهم لم يؤدّوا خدمته ولم يبلغوا غايته ، ثم يضيف إلى ذلك ما يحي من موات ،وينشر من رُفات . لن تقوم له قائمة إلا فى فمه ، ولن يتحرك بكتابته غير قلمه . أظن العَيْهُور ، والشَّيَنْقور . والطُّفَيْشَل ، والعَمَيْثَل . والجِرْدَحْل ، وزمن الفِطَحْل . ألفاظا تغنى شيئا فى عهد حضارة بنيت على الاقتصاد والإيجاز والحذف والبتر ، حتى فى الثوب والشعر .

فليرحنا وحيد — أراحه الله — من قَذَى العين وشَجَا الحلق — وليثق بذيل العَفَاء مسحوبا على عُنْجُهِيّته . وكلمة القضاء حاقّة طُمْطُمانيّته . ووالله ثم الله لو أن هذه الأعمدة التى استوعبها من الصحف وقفت منذ عهده بالكتابة ومحنتنا بقراءة كلامه على فضيلة تنشر ، أو محمدة تذكر ، أو دين ينبه الناس إلى معَادهم ، ويردّهم عن جحودهم لامتلأت الدنيا فضلا ، وطُبّقت عدلا .

---

(١) الضحاك

٣٧

المجمع اللغوى

كم ذا بمصر من المضحكات ! وكم بها من الألقاب والأسماء ، وكم بها من المظاهر الجوفاء ، وكم بها من نيات بلا عمل ، ومساع لا تبوء بغير الفشل. وكم بها من بدء بلا غاية ، ومقدمات كانت المفتتح والنهاية.

عَبَرتُ [١] أيام نشأتى أقرأ فى الصحف والمجلات بيانَ حاجتنا إلى مجمع لغوى يحيي من اللغة مَوَاتها . ويضم شتاتها ، ويُثير دفينها ، ويطلق من الإسار سجينها . ويكون مَثَابةَ الباحثين ، وملتقى المنقبين ، بل يكون عُكاظ جاهليتها ومِرْبَد إسلامها [٢] . وكم كتب فى ذلك الكاتبون ، وأفاض الباحثون حتى لظننت من عظيم ما أملّوا ، وكثير ما عوّلوا ، أن هذا المجمع سيَهَب الألسن لكل عيّ . ويكشف اللثام عن كل خفيّ ، وأرانى الوهم وخيال الطفولة أنى مستطيع إذا غمض علىّ أسلوب أو تكاءدتنى كناية أو أشكل علىّ بيتُ شعر أن أقصد إلى هذا المجمع فيزيل لبسى ويريحنى من حيرتى . والآن وقد تقلبتُ من الطفولة ، إلى الفتوة ، إلى الشباب ، إلى مغازلة الكهولة [٣] لا أجد فى المجمع أملا من آمالى ولا رغيبة من رغائبى .

حقًا إنه تألّف وتكوّن وتجمّع ، وما شئتَ من مترادف ومتوارد لهذه الألفاظ ولكنه لم يكن منه حقير ولا جليل ولم يستطع أن يدلّنا

---

(١) بقيت (٢) المربد فى الاسلام مثل عكاظ فى الجاهلية وكان بالبصرة

(٣) مغازلة الكهولة مناهزة الاربعين

على حياته بكلمة فاه بها أو نيّة اتجه إليها أو وسيلة لنهوض اللغة دل عليها . ولعلك لاتعجب إذا علمت كيف تألّف .

اختير أعضاؤه من كبار القوم فلم يتّفق له إلا كل هرم يدبّ دبيباً . قد ضعفت منّته . ووهنت قوّته ، وكلّت عينه . وصَمّتْ أذنه ، وسئمت نفسه ، بل مات حسه . وكيف يكون من مثل هؤلاء ، نفع أو غَناء . كذلك حُشد فيه كل من ناء بوَقْره من الوظائف الحكومية فلا يكاد يجد من وقته ساعة فراغ يقضيها فى هذا العمل الجديد . وإن وجد الفراغ من وقته لم يجده من باله وفكره . ثم ضمّ هؤلاء إليهم أشتاتاً من الناس ، من كل عامىّ يتشبه بالعلماء . لم يتجاوز فى دراسة الأدب ألفه إلى الباء . لكنه مولع بالمظهر ومستطيع بلطف مدخله أو شدة إلحاحه أن يكون له بين هؤلاء الفضلاء مكان . كذلك انضم إليهم من ليس يملك دليلا أو شهادة على تعلمه فهو يريد أن يتخذ من عضوية المجمع أكبر شهادة يسجلها على بطاقته . لا بل لقد احتاجوا إلى أن يكون بينهم الفكِه ، حلْو المحاضرة ، لطيف النوادر . فكان من يملك هذه الشفاعة عضواً فيه

ولسنا ننكر أن بين أعضاء المجتمع فِتْيانَ همة وأهل فضل . ولكن هؤلاء أحد رجلين ، رجل لا يستطيع أن يعمل وهو يجد حوالَيْهِ انصرافاً وإعراضاً يَخْذُلان من شوكته ويُقْعِدان من همته . وآخر قادر على العمل ولكنه أنانىّ لا يريد أن يُشرك إخوانه فى ثمار مجهوده الذى يُفْنى فيه بياض نهاره وسواد ليله فيصبح بعد ذلك سراً مُذاعاً . ورأياً مُضاعاً يستطيع كل أن يدّعيه لنفسه . لذلك نرى من أعضاء المجمع من يعملون بعيدين عنه ليكون لهم فخر عملهم .

وبعد فإنى أسأل : هل فى المجمع ذَمَاء . أو بقى فى وجوه أعضائه ماء . أو التقوا هذا العام ولو للوداع . أو دعا فيهم إلى الإصلاح داع . وإلا فكيف حملوا هذه الألقاب فارتاحوا لوَسامها ولم يتحملوا مِيسَمها . ورضعوها أفاويق [1] ثم اعتسفوا بها الطريق

لو كان لى من أمر هذا المجمع شىء لبعثت هؤلاء الأعضاء من سُبَاتهم ثم أجليتهم عن كراسيهم . ثم طلبت بين سمع مصر وبصرها كل ذى نُعرة للغته . غير مُدِلّ بمكانته . ولا مَزْهُوّ بمعرفته . جامع إلى ذلك الهمة الحذّاء والنهوض بكل بَزْلاء [2] . ثم عظّمت من شأن المجمع ورفعت قيمة أعضائه بين الناس وجعلتهم معرضين للعزل إن لم يكن منهم خدمة صادقة . ثم أوجبت على كل عضو أن يحاضر إخوانه — ولو مرة فى العام — فى شأن كتاب مَطْوىّ يرى من الفائدة نشره . أو ابتكار طريقة لتهذيب المعاجم اللغوية وتسهيل تناولها أو تحقيق مسألة ضلت فيها الأفهام ، واضطربت الأقلام . أو وضع لجملة مصطلحات تَوفّق إليها فيما يكون بسبب منه من العلوم . أو غير ذلك مما يراه وسيلة من وسائل ترقية اللغة وما يكتب بها . كما ينبغى أن توَجَّه إلى المجمع مطالب يتعاون فيها أعضاؤه حتى تتم فى أقرب وقت وعلى أَحسن حال .

بذلك أَرجو للمجمع نفعا وأُؤمل للغة رقيا وصلاحا

---

(١) هى جمع أفواق وهذه جمع فيقة وهى اللبن الذى يتجمع فى الضرع بين الحلبتين . والمراد أنهم تمتعوا بخيرها طويلا (٢) البزلاء الشدة ويكنى بالنهوض بالبزلاء عن عظم الهمة

٣٨

في المعرض الزراعي الصناعي العام [١]

أليس عجيبا أن أَشِذّ وحدي بالذم وقد أجمع الناس على الثناء ؟ أوليس عجيبا أن يكون نقدي منصبّا على فؤاد بك أباظة ذلك الرجل الذي أجمع الناس على ذكائه وحرصه على الكمال . أليس مدهشا أن يطلعني الله بتلك النظرة العَجْلَى على ماندّ عن حرص فؤاد بك وهو الذي فكّر ودبّر ، وقضى الأشهر ، يقلب الرأي ، ويمحص الفكر ، ويجمع الأطراف ، ويستتم الأطراف . حتى كان المعرض مدينة حافلة بل حاضرة كبرى . ففيه الميادين والحدائق والملاهي ، ومشارب القهوة ، ومضمار السباق ، والمصرف ، والبرق ، وكل مايخطر بالبال من متممات المدن ولوازم العواصم . ولكن ليس فيه تلك اللازمة التي يستلزمها دين الدولة وشعار الأمة وحاجة الجمهور الأعظم فيها وهي المسجد !!

هذا مصور المعرض في يدي أرى فيه تفاصيل ما بالمعرض ولكني لا أرى فيه مسجدا ولا أثرا لمسجد

وإني لأحدثك أيها القارئ عما جال بخاطري على أثر هذه الملاحظة . لم يمر بخاطري أن يكون مدير المعرض قد تعمد أن يهمل أمر الدين في معرضه لأنه رجل لامطعن في إيمانه . ولم أفكر أن أتهمه بالإهمال لأني أعلم أنه

---

(١) هو المعرض الواسع الأطراف الشامل لجميع المنتجات المصرية من زراعية وصناعية الذي أقيم في مارس وأبريل سنة ١٩٢٦ بأرض الجمعية الزراعية الملكية بالجزيرة وكان أعظم معرض أقيم في مصر . وقد استحق أعجاب حضرة صاحب الجلالة الملك فزاره مرتين

قد قضى الليالى ذوات العدد مفكرا فيما يكمل به هذا العمل الجليل . ولكنى للحال لمحت فى ذهنى هذه الكلمة الحق وهى (الكمال لله وحده) . ففؤادبك غير ملوم لأنه بذل الجهد الذى لاطاقة لإنسان بمجاوزته ولكن لله فى كل شىء آية تدل على أنه المتفرد بالكمال (سبحانه لا إله إلا هو)

ثم كان منى أن شكوت إلى بعض من لقيته من أصحابى هناك عدم استطاعتى صلاة العصر فدلّنى على مكان زعم لى أنه مصلى فسعيت إليه فأذا به سقيفة من الخشب ضيقة فيها ثلاثة مراحيض وأمامها موضع لايسع عشرة من الرجال متراصين وإلى جانبه ثلاثة صنابير للوضوء . كل ذلك فى ساحة لاتزيد على عشرة أمتار مربعة . ولو أنى لم أعلم بوجود هذا المصلى لكان خيرا لفؤادبك . لأنى كنت أحمل أمره على النسيان الذى لاينجو منه إنسان . فأما وقد فكر فى أمر المصلين فإنى أقول له : ماقيمة هذه المراحيض التى لاماء بها ولاورق (إنها ليست بعربية ولافرنجية) . وما شأن هذا المصلى الذى لم تبين فيه القبلة ؟ ثم ما غناء هذه المساحة الضيقة لهؤلاء الألوف الذين يزورون مدينتك الكبرى

إن معرضك يافؤادبك قد توافرت فيه شروط إقامة الجمعة لأنه مصر جامع للناس ، وفيه نائب لولىّ الأمر يقيم الحدود [1] فكان من حقه أن يكون فيه مسجد وفى المسجد منبر وللجماعة إمام . وعلى الجملة كان ينبغى أن تمثل فيه وزارة الأوقاف إلى جانب سائر الوزارات التى مُثِّلت فيه

---

(١) كان بالمعرض نقطة شرطة

٣٩

الزواج بالإعلان

بدعة من بدع العصر الجديد ، ومشرب من مشارب المدنية الحديثة . وخدمة من خدمات الصحافة الأوربية قامت تؤديها فينا مجلة « ألف صنف »

وما كل بدعة يجب أن تقابل بالنكر ، ولا كل لون من ألوان المدنية يحسن أن يواجه بالمعارضة . بل يجب أن يكون للدين والعقل حكمهما ، وأن تُنتظر كلمتهما قبل البتّ بالرضا أو الكره ، والاستحسان والاستهجان . . لست من طلاب الزواج حتى أتتبع مجلة « ألف صنف » ولكنى أجيل فيها النظر حينا بعد آخر لأرى شباننا وشوابنا إلام تتجه رغبتهم ؟ وفى أى صورة تتمثل سعادتهم . ولأعرف مقدار فهمهم لحرمة عاداتهم ، واستمساكهم بأهداب دياناتهم . فأذا بى أرى فى مطالبهم وما يتقدمون به من مؤهلاتهم ما يقوم حجة ناطقة بجهلهم جميعا معنى الزواج والسعادة به . فهذا طامع يَشْرَهُ إلى خير مأمول ، وآكل يتحلّب فمه لأهنأ مأكول . وهذه جَدَّة تلوّح بالمال إلى مثل حفيدها ، وتحتكم فى ثروتها إلى مريدها . وهذا مفتون بمفاسد هذه الأيام فهو يطلب من زوجته أن تخضع لرأيه فى السفور فتصحبه إلى مسارح التمثيل ودور الصور المتحركة . وتلك أخرى عرفت هوى شباننا فى الخلاعة ، واستهتارهم بضروب الشناعة . فهى تتقدم إليهم بإتقان أحدث الرقصات ، وآخر فنون المعانقات والمخاصرات . وغيرها تكشف عن أسوأ النيات فتشترط فى عون الدهر ورفيق الحياة أن يكون من رجال الحربية أو « البوليس »

فكأنها لاتعده زوجها إلا حين يتهيأ للخروج من المنزل . ولا تفرح بمعولته إلا إذا سارت إلى جانبه وهو يجر سيفه ، ويهز كتفه . . وجملة القول أنى لم أر فى الرجال والنساء من فهم الزواج حق الفهم ولا من أدرك غايته تمام الإدراك . فرأىُ الرجال أنه طريق إلى المال ، ورأيهن أنه نوع من أنواع الوصال . .

ولو عرف الرجال شرف الغاية فيه لالتمسوا القانعة الراضية التى تعرف طاقة زوجها فلا تكلفه ما تباهى به جاراتها وصويحباتها . ولا تضطره بجدْع الأنف أن يحشد حولها الجوارى والوصيفات حتى تتهادى فى وسطهن ، وتظهر محاسنها بقبحهن . وحتى تقطع الوقت بشتمهن وصفعهن ، وتتلهى بتنادرهن وتهانفهن[1] . كذلك يلتمسون النشيطة المعتملة التى لا تترك بيتها للخدم يفسدون أعماله ، ويعكسون أحواله . ويلوّثون نظيفه . ويسرقون ثقيله وخفيفه . كذلك يلتمسون الأم الرءوم التى ترى السعادة فى أن تبيع شبابها بيع السماح لأولادها ، فتذبل زهرته فى ولاية شؤونهم ، وغرس الفضائل فى نفوسهم . وتعهدهم فى السلامة والداء ، ورخاوة العيش والعناء

ولو اهتدت النساء إلى المقصد الأسمى من الزواج لالتمسن من الرجال كل غنىّ بشرفه حريص على كرامته متمسك بدينه ، معروف فيه بحسن يقينه . ليكنّ آمنات خيانة العين وغدر القلب . وضامنات الإمساك بالمعروف أو التسريح بالإحسان . ومستودعات مستقبلهن ومستقبل أولادهن من يأبى إلا الكرامة لكل من يتصل به وينتسب إليه

(١) التنادر مطارحة النوادر « الفكاهات » . التهانف التضاحك

وقد بقيت كلمتا العقل والدين فى هذا الزواج بالإعلان . فأما العقل فلا يرى وسيلة أنجع من وسائل النشر والمراسلة تتجلى بها الحقيقة ويدنو البعيد بعد أن تحكّمت الخاطبة قديماً فى مستقبل الزوجين بالباطل تروّجه وتقشيه، والحق تطمسه وتخفيه . فهى التى تجعل المرهاء[١] ،حوراء[٢] ، والعجفاء[٣] ، لفاء[٤] . ومجهولة النسب ، بنت خير أب . وهامة اليوم أو غد[٥] ،غريرة[٦] حديثة العهد . كما تجعل العاطل كسوبا ، والسائل وهوباً . والمغمور الخامل ، كُلَيْبَ بْنَ وَائِل

وأما الدين فهو يجعل للمرأة حق اختيار الزوج فليس لوليها أن يضطرها إلى قبول من لا ترضاه . حتى لو كانت قاصرة فزوجها الولىّ كان لها الخيار إذا رشَدت أن تُمضى الزواج أو تفسَخه . ثم هو يجيز ما يحصل اليوم من تبادل الصور لأنه سوغ للخاطب أن ينظر إلى مخطوبته . لما ورد من أن المُغيرة بن شُعْبة خطب امرأة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انظر إليها فأنه أحرى أن يُؤْدَم بينكما

---

(١) المرهاء من ابيضت بواطن أجفانها (٢) الحوراء الشديدة سواد العين في شدة بياضها أو الواسعة السواد (٣) العجفاء الهزيلة (٤) اللفاء الممتلئة في غير سمن

(٥) يقال فلان هامة اليوم أو غد أى أنه كبير السن دانى الأجل

(٦) الغريرة الجاهلة الساذجة

٤٠

فى المرقص

هؤلاء شبان خِفاف ظِراف قد أقبلوا يتخلّعون فى مشيهم، ويترامون فى خَطَواتهم، ويسرعون اللفتات. ويختلسون النظرات. وتلك شوابّ هِيفٌ غِيدٌ قد أقبلن يتهادين فى الحسن المصنوع من الألوان، والأصباغ كالدِّهان[1]. وقد انهزمت الطبيعة أمام التطبع، وعجزت الحقيقة عن مقاومة التصنع. وفسد الأمر، وأصلح العطار ما أفسد الدهر. وصار النُّبْل فى النساء أن تتقن إحداهن هذا التمويه، وتتلطف فى تلافى التشويه. وأصبح مقياس الذكاء فيهن السبق إلى طِراز من الزىّ، من نشر أو طىّ، وإرسال أَوْلَىّ. وعادت الشجاعة منهن فى الجرأة على الظهور بما لم يعهد ولم يؤلف، وهو منهن على أيّة حال مستطرف مستظرف. فاليوم ذيل يجرّ، وغدا يشمّر. وهذا شَعْر يثنّى ويرسل ثم يُجزّ ويُفصل. وذاك كُمٌّ مقطوع، ثم هو غدا إلى الكوع أو البوع، وذاك ثوب اجتمعت سبعون رقعة فى حواشيه، ثم هو بعدُ مهمل لا شِيَةَ[2] فيه. وهكذا حتى صار التجمل والتزيّى هو موضوع النظر ومجال الاستحسان والإعجاب. وفسد الذوق فى الرجال فلم يَعُدْ يصرعهم طَرْف وَسْنان، ولا خَصْر ظمآن[3]. ولا قَدّ يتأوّد، ولا خدٌّ يتورّد، ولا حسن يتودّد...

استدار هؤلاء الشبان وتلك الشوابّ بالموائد التى حول هذه الحظيرة

(١) الأديم الأحمر (٢) الشية العلامة (٣) الخصر الظمآن النحيل

المعدة للرقص . وفى جانب من المكان اجتمع العازفون والعازفات فأرسلوا من النغم ماحسن وعذب وما هو إلا أن صدحت الموسيقى حتى رأيتُ هذه الحظيرة قد امتلأت بالراقصين والراقصات وقد استقبل كل شاب شابةً فاعتنقا اعتناقا وقع فيه الساق على الساق ، والصدر على الصدر ، واستدار الذراع بالخصر . وصار كاهل الفتى لخد الفتاة كالوساد . وقبّل الفم الخدّ أو كاد

فوق التعانق لاصقَيْن كشكلتى نصب أدقّهما وضَمّ الشاكلُ

ثم جرت حركاتهما على إيقاع الموسيقى من جولان ، فى أنحاء المكان . وهز الأرداف ، وتحريك للأكتاف . وتدانٍ من الشفاه ، كحال المناجاه . وغير ذلك مما لا أسميه إلا فجورا ، أبى له أصحابه إلا ظهورا . وهذا هو العُهْر لا ما أخفيتَ وخبأت ، وصدق الحديث إذا لم تستح فاصنع ماشئت .

رأيت هذا المنظر مرات فلم ازدد له إلا إنكارا واستفظاعا لأنى رأيته مذبحة للحياء يراق عليها ماء الطُّهر وتزهق روح العفة . وأى بقية من هذه الشمائل تحتفظ بها نفس الفتاة التى ترضى بهذه الوضيعة على مشهد من هذا الملأ ومع غير حليل أو مَحْرَم[1] ؟

وكأنّ أنصار هذه الشناعة قد أرادوا أن يستروا جريمتهم فادّعوا أن فى هذا الرقص رياضة للأعضاء وتجديدا للنشاط وتربية للذوق بالتمشى مع الموسيقى ومتابعة النغم . ولكن كذبوا ولم يستطيعوا أن يبرروا باطلهم فى اشتراط أن يرقص الشاب مع الشابة . . . إن كانت الرياضة غايتهم فلم لا يقبل أحدهم أن يرقص مع الشَّمْطاء ، أو الشَّوْهاء . ولِمَ لَمْ يكن من أوضاعهم

(١) الحليل الزوج والمحرم من الأقارب من لا يحل الزواج به .

أن ترقص الفتاة مع الفتاه . وأن يعانق الفتى أخاه . فلا بد أن الغرض السيئ هو الذى دعاهم إلى ترويج هذا الفساد .

ولقد طالما فكرت فى أمر هـذه العادة فكان رأيى أنها أثر من آثار الوحشية القديمة بقى إلى عصرنا فيما بقى من سيئات الماضى ليكون دليلا على أن نفوسنا التى هذبها العلم وصقلتها التربية لا يزال بها أثارة من جاهلية آبائنا وبعض من وحشيتهم البائدة . ولعل سبب السكوت عن هذه العادة أن الناس وجدوا عليها الآباء ، ففقدوا فى مقاومتها الحمية والإباء

إن كان لا بد لنا من جعل الرقص أحد مظاهر مدنيتنا وأنواع لهونا وترفيهنا عن أنفسنا فليكن منه هذا النوع الذى يعد تمثيلا صامتا تؤدى فيه الإشارة بالأيدى والأقدام ، ما يؤديه الكلام . فمن تمثيل للسكر والعربدة ، إلى تخييل المرضا والموجدة . إلى تصوير لمعونة المنكوب ، وتلافى الخطوب . إلى غير ذلك من كل معنى يجل فى نفسه ويعظم التأثير بتمثيله . ذلك هو الرقص الذى تنفرد فيه الراقصة بتمثيل هذه المعانى الشريفة أو يشاركها من يشاركها بلا تعانق ، ولا تلاصق . ولكن للتعاون على إبراز هذه الأغراض وتجلية تلك المقاصد

والعجب العاجب أن قد بدأ المصريون ، مسيحيوهم والمسلمون . يأذنون لرقص المخاصرة أن يدخل بيوتهم وتعتاده بناتهم ، وقد رضيه الرجل لزوجه والشاب لخطيبته بل إن بعضهم يشترطه فى جملة ما يشترط من عفاف وتدبير ! :

يا لله ! ! أحين يبدأ الأوربيون يستنكرون هذا النوع من الشناعة نرحّب نحن به ؟ إن لنا من شرقيتنا وغيرتنا ما يجعلنا نتنكره وإن استحسنوه ، ونتقيه مهما تمسكوا به وأحبوه

ألاَ إني لكم أيها المصريون لنذيرٌ مبين . إنكم إذا لم تغضبوا لهذه الحال فاقبلوا نتائجها من فجور لا يقام بسبيله ، ومن تفكك في روابط الأسرة وتداعٍ لهيكلها المقدس الذي يجب أن نحرص عليه كل الحرص

٤١

الطفولة[1]

ما أسعد الأسر بأطفالها . بل ما أسعدها بتلك الأرواح الزكية التى يُشم منها عَبَق السذاجة والطهر . بل ما أجذلها بتلك المرايا الصافية التى ترى فيها الضمائر البريئة ، والسرائر النقية . بل ما أهنأها بهذه الأملاك التى تنزّلت من سمائها فمشت بينها ، تعيش فينا بأجسامها الناعمة وتسمو عنّا بأرواحها الملْهَمة وخيالاتها الباسمة

أيتها الأم . ألستِ هنيئة بذلك الرضيع الذى تضمينه إلى صدرك وتمنحينه ثديك فيقدم لك الشكر من عينيه البراقتين المملوءتين سحراً ، ويعرب لك فى صمته أو مناغاته وفى تعلقه بك وتمسكه بأهدابك عن سرور لاتستطيع العبارة أن تؤديه . .

أيتها الأم ! ألست هنيئة بطفلك الذى لم يعرف بعدُ العهدَ ولا الوفاء ، ولا الألفة ولا الجفاء . فيودّعك حين تفارقينه لحظة بالبكاء الحار ، ويستقبلك حين عودتك بأسمى أنواع الحفاوة والابتهاج ، ومهما تكرر فراقك له وعودتك إليه فلن يعتاد أبداً السلوى عنك ، بل لك فى كل فراق دموع غِزَار ، وفى كل عودة فرح واستبشار . . .

وأنت أيها الأب . أليس لك فى طفلك مسلاة عن كل هم ؟ أو ليس من ابتساماته لك مايبدد سحب الشقاء يعترضك فى حياتك

---

(١) نشرت فى مجلة المرأة الجديدة

أليس يعجبك منه أنه أول ما نطق سبّح باسمك فاستقبلك به قادما وودّعك به مفارقا ثم ظل يرطّب به فمه فى فترات غيابك كأنه يبتهل إلى القدرة أن تصونك من مخاطرك وتعينك على متاعبك

فما أسعد الأسر بالأطفال وما أسعد الأطفال بآبائهم وأمهاتهم

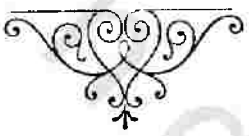

obeikandl.com

٤٢

الحظوظ

يجب أن نعتقد أن فى هذه الدنيا جدوداً قائمة وأخرى عاثرة ، وأننا فى حياتنا نتلقى من مَوْهِبة القدر أو مَرْزِئة القضاء ما يكون مادة لسعادتنا أو مثاراً لشقوتنا . وأن من الخطأ الواضح أن نجرى وراء هؤلاء الماديين الذين يقولون (حظك فى يدك) فإننا حين ندين بهذا الرأى جديرون أن نتبرم بهذه الحياة إذا هى عبَست لنا وما أكثر ما تفعل ، خليقون أن نشقى على غير طائل فى سبيل تكميل أنفسنا إذا لم تهيأ لنا أسباب ذلك .

فمن ظن ممن يلاقى الخطوب بأن حظه فى يده ، وأن عليه تقويم معوجه وإصلاح فاسده فقد جرّ على نفسه أن يبقى نافخا فى غير ضَرَم ثم صائراً بعد الفشل إلى القنوط ، وبعد اشتعال الهمة إلى الخمود ، جاحداً أن مع العسر يسراً ، وأن لهذا العالم مدبراً هو الذى أعطى ومنع ، وسلب ومنح . وسر وساء ، ووفّق من شاء ، لما يشاء . وتلك لعمرى مقدمات الانتحار ، وسبيل الخلود فى النار . .

أيها اللَّغِب المكدود ، اللَّجوج الكَنودُ [1] أراك وأنت المخلوق الضعيف كأنما تحاول أن توقف دورة الفلك ، وأن تعترض القضاء أيةَ سلك ، فمهلا مهلا ، لقد أتيت جهلا . فماذا يجدى هذا النِّطاح للصخر ، أو المزاحمة

---

(١) اللوام لربه تعالى

للبحر . أو ذاك العِهْن المنفوش فى طريق السيل المُنْهَمِر ، أو تلك الحَفْنة من التراب تلقى على الحريق المستعر

وأنت أيها المُرْهَف العزم ، الشديد الحزم . ما فطنتك إلا نار الحُباحب فى الليل البهيم . ولا نشاطك إلا مسابقة السلحفاة للظَّليم[1] . ولا حيلتك إلا حيلة النعامة[2] ، ولا برهنتك إلا الاستدلال بظل الغمامة[3] . . أتنكر الحظ وأنت ترى الناس وفيهم من ورث الذكاء أو الغَباء . والمرض أو السلامة . والحسن أو الجَهَامة . أو تنكره وأنت تدرُس مواطن الأمم ؟ وفيها من نشأت فى الجدب أو الخِصب . والوعورة أو السهولة . والاعتدال أو الانحراف . أو تنكره وأنت تقرأ التاريخ ؟ فتمر بك العصور التى خُضبتْ بالدم ، وقضيت فى الكرب والهم . وتسنح أمامك لحظات السعادة وما يكسوها من بهاء ويتردد فيها من عزف وغناء

هُوَ الجَدُّ حتى تفضُل العينُ أختَها وحتى يكون اليوم لليوم سيدا

لا بل حتى يكون الحادث الواحد سعادة وشقاوة فالتجارة لا تتم فيها صفقة إلا وهى ربح لأحد المتبايعين وخسارة للآخر ، وفى الطب قد يتحد المرض والدواء ، فمريض يصح وآخر يذهب به الداء

سبحانَ من قَسمَ الحظو ظَ فلا عتاب ولا مَلامَهْ
أعمى وأعشى ثم ذو بصر وزرقاءُ اليمامهْ

---

(١) ولد الظبى (٢) تختفى من صائدها بوضع رأسها بين جناحيها . وتظن حين لا تراه أنه لا يراها (٣) من أحاديث كليلة ودمنة أن مغفلا خبأ كنزاً وتعرف موضعه بغمامة كانت تظله

٤٣

البورصة

ويسميها جماعة المعربين المَصْفَق . وما كان أحراهم إذا نظروا إلى كنه المعنى أن يشتقوها من الصعْق لا من الصفْق .

وسواء أكان لفظ « البورصة » أعجميا أم عربيا فأن صدره وهو (بور) نذير البوار ورديف التلف . وما أشأمها طِيَرة لو لم يكن داخلها قد عمى عن كل شيء إلا قوله لسمساره بكم اشتريت ، وبكم بعت . .

دخلتها حين أردت أن أتمثل الأمل الكاذب والطمع المبيد فأذا بهما نهر من السراب . ينساب في قفر يَبَاب . وإذا بالمضاربين أو المقامرين أو المستميتين أو المتبرمين بالغنى ، المستعذبين وِرْد الفقر قد وقفوا حول حظيرة يروح ويغدو فيها قوم يسمونهم السماسرة . فقبل أن يدقّ جرس العمل ويؤذّن مؤذن الخراب ، ترى هؤلاء السماسرة كقبيل الشيطان يتفاءلون ويتشاءمون ، ويَعِدون ويتوعدون ، ويُطمعون ويُوئسون ، ويبشّرون وينفّرون ، ويرجون خيرا ، ويتوقّعون ضيرا ويتقوّلون على الحدْثان ما لم يكن ، ويعظمون كل صغير كان . حتى تهتز قلوب الواقفين وتسرى الأنباء إلى الغائبين فيقع الهول والهلَع أو يقوى الأمل والطمع . فيكون من جراء ذلك أن يؤمروا بالبيع والشراء ، ولهم على ذلك سمسرة يأخذونها على الكره أو الرضا ، والغُرْم أو الغنم

فأذا حمِي الوطيس رأيت حربا يفعل فيها الكلام . مايعجز عنه الحسام .

وتغنى فيها الإشارة، عن السَّمْهَرية الخَطَّارة[١]. فكلمة نعم، قد تدنى أو تبعد المغنَم. وكلمة لا، قد تنشر من البلى، أو تقدّ فى البطن السَّلاَ[٢].

هى حرب لا كـكل الحروب يتصافح فيها السالب والمسلوب، ويتضاحك الغالب والمغلوب. وما ذاك إلا لأن المتقاتلين ممثلون أجروا على هـذا الموقف وقد ألقى إليهم أصحاب الأضغان وذوو الأوتار بأسلحتهم وأمروهم أن يحاربوا بأسمائهم. فليس يضيرهم فى آخر المعركة أن يكون النصر فى جانب دون جانب. لأنهم سيتقاضون أجر هذه الذبيحة، وسمسرة تلك الصفقة خاسرة أو ربيحة.

لـكل عمل فى الحياة طريقة إذا استقمتَ عليها أحمدْتَ عاقبتك، ووصلت إلى غايتك. فلتحصيل العلم الجد، وللحرب الشجاعة، وللمعيشة الاقتصاد، وللسلامة توقّى الداء. فأما العمل الذى لازِمام له يؤخذ به، ولا سبيل يسار فيها إلى غايته فذلك هو المضاربة أو المقامرة فى « البورصة ». فإن قلت: الإقدام. فربّ إقدام كان فيه الحتف، وأمامٍ كان خيرا منه خلف. وإن قلت: الأناة والروية. فرب خَطْرة وَهْم، بدلت فرحا بغم، وغُنْما بغُرْم. وإن قلت: مراقبة الحادثات وانتظار الملمات. فأنك لا تدرى حين تبدأ العاصفة متى تقف، وحين تتلبّد الغيوم أيان تنكشف؟.

فالبورصة اضطراب شامل، واختلاط حابل بنابل. فمن عالج أمورها فهو يخطىء إن تذرّع لهـا بفكر. أو صدر فيها عن حيلة ومكر. فربحها

---

(١) الرماح (٢) السلا الكيس يكون فيه الجنين. والنقد فى البطن السلا مثل يضرب للشر العظيم

وخسارتها لايكونان عن اجتهاد أو كسل ، ولا يستحقان أن يسميا فوزا أو خيبة ، لأن هذه الأسماء ربما أشعرت بأن للرابح أو الخاسر أثرا ظاهرا أو خفيا فى ربحه أو خسارته ، وليس شىء من ذلك حاصلا ، فأن كنت تريد أن تصدُق فى التسمية فليس أمامك إلا كلمات الاتفاق أو المصادفة . والخبط أو الخلط .

فيا بؤسَى لك « أيها المضارب » متى سرَّتك « البورصة » أبثروتك التى وقعتْ فيها بين قوتى الجزر والمد ، وتعرضتْ لحادثتى الأخذ والرد . أم بعقلك وقد دلّهتْه ، وجسمك الذى تَخوّنَتْه . أم بمضجعك وقد أقضّته ، ونومك وقد شرّدته . أم بمصيرك إلى الفقر وقد هيّأته . . .

يا بؤسى لك قد تخوّلك « البورصة » فى اليقظة ما يُخَوّل الحالم فترى أنك قد استوليت على أكوام البِدَر ، وقبضتَ بيد على الشمس وبالأخرى على القمر ، ولكن سرعان ما تسترد الموهوب ، وتستولى على القديم المكسوب . فتستوى عند ذلك اليقظة والمنام ، وتصبح وقد لصق أنفك بالرَّغام .

يَحْسَبَ الحظَّ كلَّه فى يديه وهو منه على مَدَى الجوزاء

فأن أردتَ أن تعرف شؤم هذه البُومة نذيرة الخراب فاسأل الغابرين والباقين من انتفع بخيرها ثم سلم من شرها ؟ أو اذكر اسمها فى مجلس فأنه لاتخطئك الدموع المتحدرات ، ولا الزفرات المتصاعدات ، ولا الآهات المحرقات

٤٤

الانتحار

« علمت أدارة الأمن العام في اليومين الماضيين أن عبد القادر عمار »
« المدرس بالمدرسة الكاملية بالأسكندرية ألقى بنفسه من نافذة مسكنه »
« محاولا الانتحار لخلاف منزلي وأن فتاة رومية فى حى كرموز شربت »
« جرعة من صبغة اليود لعدول خاطبها عن التزوج منها وأن غلاماً فى حى »
« العطارين أشعل النار فى ثيابه لخلاف بينه وبين والده وأن وطنياً فى طوخ »
« شرب جرعة من حامض الفنيك لنزاع بينه وبين والده وأن بحاراً من أهالى »
« القاهرة انتحر لنزاع بينه وبين آخرين وأن أيطالياً فى حى عابدين شرب »
« مادة سامة منتحراً لمرض أزمن معه »

« الأهرام فى ٢٠ أبريل سنة ١٩٢٦ »

تقرأ أو تسمع — وحسبك من شرّ سماعُه — أن فلاناً انتحر لمُتْرَبة[١] عضّته ، أو عشيقة هجرته ، أو صاحبة[٢] خانته . أو لمرض لا يرجو شفاءه أو امتحان لم يحسن أداءه . . لا بل قد يشارف الفَوْت ، ويصافح الموت ، لكلمة لم يرضها ، أو حاجة لم يقضها . أو عثرة فى طريقه ، أو غُصة بريقه . لا بل لِوَهْمٍ قام بخياله يعترض طريق آماله

فما أهونها نفوساً جهلت سر الوجود ، فلم تحسن الصَدَر ولا الورود وفاتها أن الدنيا معترك نضال ، وحَوْمة نزال ، لا وقفة لرحاها ، وفى علم ربك منتهاها . فالعائش فى الدنيا — رضى أو كره — جندى يجب عليه أن يغامر[٣] وأن يصاول ويساور[٤] . لا يطمع فى فرار ، ولا يؤمل أن يستقر له قرار ،

(١) فقر (٢) زوجة (٣) يلقى بنفسه فى الشدائد (٤) يصاول ويساور بمعنى يغالب

فالموت غاية الغالب والمغلوب ، ومصير السالب والمسلوب

فياعجباً لمن يكون الموت حواليه ، والصَّرْعَى ملء عينيه ، وتحت قدميه ويقف وما فى الموت شك لواقف ، وفى رمية سهم . أو خَطْرة وَهْم . قد ينال الراحة الكبرى ويحرز النصر المبين فيلقى ربه راضياً عن جهاده ، مشكوراً على سِداده[1]

يا عجباً له يرى كل ذلك يقيناً . ويعتنقه ديناً . ثم يبيع شرف الدنيا ونعيم الآخرة ويتعجل الموت الذى ما منه بد . ولا له مردّ . فينثنى على سيفه ، ويسعى لحتفه ، ولو بظِلْفه . . .

فياعدوّ نفسه لو عرفت مصيرك فى آخرتك ، ما أقدمت على جهلتك . إن كنت تفرّ من الشقاء فإنه ملاقيك . أو تتخلص من العار فهو ملازمك ومدانيك . وإن كنت فزِعت من قضاء الناس فأنك من قضاء الله أفزع ، وإن جزعت من عذاب الدنيا فأنت والله من عذاب الآخرة أجزع . (وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) .. فيا بؤسى لشقى يسجّل على نفسه الشقاء ، ومتبرم بألم سَيَأْبد[2] فى اللأواء[3] ، وسجين كان إلى حرية فاستحال الفداء . . وياجهل من ظن أنه يملك أمر نفسه فهو يعيش أو يموت ، ويبقى أو يفوت ، ويجوع أو يقوت . ألاَ لِيَعْلَمِ الناس أن ليس لهم من أمرهم جليل ولا بسيط ، وأن الله من ورائهم محيط

---

(١) السداد بالكسر حسن القيام بالأمر وتلافى نقصه وهو المراد هنا . أما السداد بالفتح فهو الصواب (٢) يأبد يبقى أبى الأبد (٣) اللأواء الشدة